عصور - تصنيف ج- المجلد 21 / العدد01 - جويلية 2022
EISSN 6278-2600 ISSN 1112- 4237
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/167

معرف الكائن الرقمي للمقال (DOI) 10.54239/2319-021-001-007

المعتقدات العلاجية الروحانية لدى القبائل الأمازيغية
– القيقبة أنموذجا -

Spiritual healing beliefs of the Amazigh tribes
– Al Qaiqba as a model-

ط.د. منصورية ريمة*
جامعة باتنة 1/ الجزائر
rima.mansouria@univ-batna.dz

تاريخ الإرسال:2021/10/26 تاريخ المراجعة:2021/11/06 تاريخ القبول:2022/01/06

الملخص:

تهدف الدراسة الى تسليط الضوء على العلاج الروحاني وبعض من المعتقدات الأرواحية في الفكر الأمازيغي – القيقبة أنموذجا- لما له من أهمية بالغة في بناء الصحة الإنسانية، وعلاج الروح البشرية، كذلك فهم بعض السلوكيات التي تعبر عن الفكر الاولي للإنسان الامازيغي، والإشارة إلى بعض من رمزيات ودلالات التطبب خاصة ما يتعلق بالمعتقد الأرواحي والمتصل بمظاهر الطبيعة وغيرها، ولتحقيق أهداف الدراسة التي نصبوا اليها اجرينا مقابلات ميدانية مع عينات مجتمع الدراسة بما فيهم أخصائيون في العلاج الروحاني، وذلك بإتباع المنهج الأنثروبولوجي، لرصد الممارسات الطقوسية وفهم رمزيتها وطبيعتها، وكما استعنت أيضا بالمنهج الوصفي التحليلي، وبعد جمع المعلومات وتحليلها أسفرت نتائج الدراسة على أنه : طب قديم ضارب بجذوره في الفكر الإنسان البربري واتخاذه كوسيلة للعلاج أمر حتمي، كما انه يغير ويعدل المكون المعرفي، النفسي والوجداني والمكون السلوكي داخل كل إنسان، وأن جل الطقوس والممارسات قدسية تحي لصحة اعتقاد الأوائل عنها، كما أنها مرتبطة بأساطيرهم

* ط.د. منصورية ريمة، تخصص تراث، قسم اللغة والثقافة الأمازيغية، كلية اللغة والآداب العربي والفنون، جامعة باتنة1.

الأولية، فهذا النوع جمع بين المعتقد والقرءان والصدق، ليصاغ في قالب آخر مليء بالإيمان بما سلف لعلاج ما تعسر عنه الطب الحديث.

الكلمات المفتاحية : العلاج الروحاني؛ المعتقدات؛ مظاهر الطبيعة؛ الصحة؛ التطبب؛ الممارسات القدسية، الطقوس، الأساطير؛ الإيمان.

Abstract :

The study aims to shed light on spiritual treatment and some of the spiritual beliefs in the Amazigh thought - Al-Qaiba as a model - because of its great importance in building human health, treating the human spirit, as well as understanding some behaviors that express the initial thought of the Amazigh person, and referring to some of the symbols And the indications of healing, especially with regard to the spiritual belief related to the manifestations of nature and others, and to achieve the objectives of the study that they set out to, we conducted field interviews with the study population samples, including specialists in spiritual therapy, by following the anthropological approach, to monitor ritual practices and understand their symbolism and nature, and also used the descriptive analytical approach. After collecting and analyzing the information, the results of the study revealed that it is an ancient medicine rooted in the barbarian human thought, and its adoption as a means of treatment is inevitable. It is also related to their primary myths, as this type combines belief, the Qur'an, and truthfulness, to be formulated in another template filled with belief in what has been asked. P for the treatment of what is difficult for him modern medicine.

Keywords: spiritual therapy; beliefs; manifestations of nature; the health; application; sacred practices, rituals, myths; Faith

مقدمة :

مرت البشرية خلال مراحل التطور الفكري الانساني بالسحر ثم الدين ثم العلم، حيث أنه في البوادر الأولى من اكتشافاته، أرسى مجموعة من معتقدات وقيم تتماشى وطبيعته المعاشة، كلها ممارسات متداولة في الحياة البشرية، توارثوها لتبقى مرسخة في الخيال الجمعي لتلك الأمم، فبقيت كمادة معرفية لما خلفه الأوائل من بينها تلك المعتقدات التي لا زالت تتسم بمصداقيتها ومتجذرة في العقل الانساني الحديث، هي

تلك التي ترتبط بالروح، أو ما يسمى بالأرواحية، أين اخذت كل مظاهر طبيعتهم من جبال، كهوف، مغارات، اشجار وما إلى ذلك روحا يرهبونه ويخافون من غضبه، ومع مرور الزمن اصبحت تلك الأماكن مباركة ومقدسة، لما نسجوه من معتقدات وطقوس وممارسات تقيهم شر تلك الأرواح.

فالشمال الافريقي آمن بالأرواحية، واتخذها السبيل الوحيد لفهم ذاته، كما خصص معتقدات علاجية روحانية في خانة تراثه القديم، والذي توارثته اغلب المجتمعات الحالية خاصة منها الأمازيغية والتي تمسكت به لحد الساعة، والمتمثلة في العلاج الشعبي التقليدي الذي يشمل بدوره العلاج الروحاني وكان سباقا حيث أنه يخاطب الروح من اجل علاج الجسم من كل الأمراض.

والجزائر على غرار الكثير من الدول تشهد انتشارا واسعا لمثل هته الممارسات العلاجية الروحانية، خاصة إذا عجز الطب الحديث على تشخيص وكشف بعض الأمراض، وهذا يقتصر على الأمراض الغيبية الباطنية، التي تتطلب الاتصال بعالم الجن والأرواح، فنجد الكثير منهم يسعى للمشايخ الزوايا وحكماء القرى وخاصة أضرحة الأولياء الصالحين، أين وصل بهم الأمر الذهاب الى المشعوذين لتلقي العلاج الذي تعسر على نخبة من الأطباء، فقط لاسترضاء نفوسهم، اين تلقوا الاستجابة الفورية لمبتغياتهم، وهذا ما تشهده اليوم منطقة القيقبة، الواقعة في ولاية باتنة، انتشار هته الممارسات والاستعانة بالطقوس العلاجية التقليدية، فهي منطقة يمكن القول عنها قرية المعجزات، لما تحمله من أماكن مقدسة، وأضرحة لعدة أولياء صالحين كانوا في زمن ماض من أكثر الناس زهدا وحكمة، واحتضانها للعديد من مشايخ ومعالجين روحانيين.

لأجل فهم سلوكيات هذا المجتمع، والتعرف على الطريقة العلاجية الروحانية، ومعتقداته وجب علينا الوقوف على التساؤل الرئيسي لإشكاليتنا والمتمثل في : **ما هي طرق ووسائل العلاج الروحاني في المجتمع الأمازيغي بالقيقبة ؟**

وللإجابة على تساؤلنا لا بد من معرفة :

1. **ما هي رمزيات ودلالات الأشياء المستعملة في التطبب الروحاني، وفيما تساعد الإنسان ؟**

2. ما هو تفسير سبب تمسك هته الفئة بالمعتقدات والممارسات الروحانية العلاجية ؟

أهداف الدراسة :

تهدف الدراسة أساسا على :

- التعريف بالمعتقدات الروحانية الأمازيغية وطرح موضوعها للنقاشات العامة.
- فهم ظاهرة الأرواحية والكشف عن طقوسها ودلالاتها القدسية.
- التطرق لمفهوم العلاج الروحاني ودوره في شفاء الامراض المستعصية على الطب الحديث.

أهمية الدراسة :

- العلاج الروحاني ذو أهمية بالغة في الحفاظ على الصحة التي تعتبر من اهم العوامل الرئيسية التي تقرر الحضارة الانسانية.
- تعزيز الدراسات الميدانية للمجتمعات الأمازيغية.
- دراسة المعتقدات الروحانية يضيف مادة علمية نفيسة لفهم المجتمع المدروس من كل النواحي، كما تساعد على معرفة جذورهم التاريخية والحضارية .

المفاهيم النظرية :

- **العلاج الروحاني :** هو ما يعرف بالإنجليزية : Exorcism بمعنى طرد الجان السفلي الضار، ما يعرف بالأرواح الشريرة من جسد الانسان حيث تسبب في احداث امراض كثيرة (يحي الجمال، 2001، صفحة 40). يعتبر أحد أنواع العلاج التقليدي، وهو يخاطب الروح من أجل علاج الجسد البشري، فالتداوي الروحاني بالكتابة يتصل مباشرة بما يسمى بـ: السحر العلاجي في العصر الحالي، لأنه يعتمد على نفس المبدأ في العمل (ملاح، 2013، صفحة 50). " هو طريقة تختص بشفاء الإنسان، سواء لجسده المادي أو الروحي من مشاكل وأعراض مرضية ناتجة عن الجان السفلي لهالته ولجسده المادي حيث سلب روحانيته الطبيعية، وتلك الأمراض يعجز الطب العضوي في كثير من الأحيان عن علاجها، ولذلك يقوم العلاج الروحاني بطرد تلك الأجسام الجنية من هالة

المريض وإعادة سرعة ذبذباتها إلى معدلها الطبيعي، فيشفي المريض " (يحي الجمال، 2001، صفحة 47).

الروحاني : ما فيه روح، ونسبة إلى الروح، والعلاج الروحاني ضرب من علاج النفس (الطهطاوي، 2005، صفحة 8).

اذن فالعلاج الروحاني : مرتبط بالروح الإنسانية التي تعتبر المسؤولة عن كل الأمراض التي تصاحب الجسد، فالروح بحاجة لزيادة هالتها، فكلما كانت الروح قوية كلما سلم الجسد المادي، إضافة الى كونه ملكات ربانية وعطاء من الله لمخلوقه البشري، فالروح حساسة ولا تتأثر بالملوثات الكيميائية والفيزيائية بل تتأثر بالمعاصي والخروج عن أمر الخالق، لذلك وجب على المعالج الروحاني أن يتسم بطهارة القلب، والثقة بالله واليقين والإخلاص له بجانب العزيمة والجزم بصدق عظمة الله.

- **المعتقدات :** تتألف من أفكار واضحة ومباشرة تعمل على رسم صورة ذهنية لعالم المقدسات، وتوضح الصلة بينه وبين عالم المقدسات، غالبا ما تصاغ هذه الأفكار في شكل صلوات وتراتيل (السواح، 2002، صفحة 48).

" المعتقد شأن جمعي لأكثر من سبب فأولا من غير الممكن أن يقوم كل فرد من أفراد الجماعة بصياغة معتقد خاص به، بما يستدعي ذلك من سلوك وأفعال سوف تتضارب حتما مع ما يبادر به الآخرون، وثانيا أن دوام واستمرار معتقد يتطلب ايمان كبير من الأفراد به وإلا اندثر وفقد تأثيره حتى في نفس صاحبه " (السواح، 2002، صفحة 48).

اذن **المعتقد** : هو نتيجة التأملات الفكرية واستجابة لعدة تساؤلات تنتج من الفرد أو الجماعة، إذ أنه يصنع في نفسه تخيلات واحتمالات تتماشى وعقله، كما يمنحها صفة القداسة يطعمها بطقوس وممارسات لأجل دوامها واستمرارها عبر العصور.

الإطار الميداني :

حدود الدراسة :

-الحدود الموضوعية : تشمل الدراسة موضوع العلاج الروحاني في المعتقد الأمازيغي، حيث ركزنا على طرق علاج الروح من الأمراض الباطنية وكذلك مس الجن السفلي، ودفع الحسد والخصومة وما إلى ذلك من امراض تمس الصحة الجسدية او النفسية

للإنسان، إضافة إلى الإشارة لرمزيات ودلالات الوسائل المستعملة في هذا العلاج، وتفسير استمرارية مثل هته الممارسات.

-البشرية: سكان منطقة القيقبة.

-المكانية: بلدية القيقبة وهي من أقدم بلديات باتنة، تابعة إقليميا لدائرة رأس العيون، تقع على الطريق الوطني رقم 78 الرابط بين ولاية سطيف وباتنة.

-الزمانية: زمن الدراسة استغرق شهر، لكن سابقا كنت ابحث منذ مدة طويلة حول هته المعتقدات لأجل دراسات أكاديمية.

إجراءات الدراسة :

- **المنهج المتبع :** اتبعت جملة من المناهج تتمثل في :

- **المنهج الوصفي** : وهو الأسلوب الناجح لدراسة ظاهرة الطب الروحاني، ووصفها وصفا دقيقا.
- **المنهج التحليلي** : استعنت بع لتفسير وتحليل هته الظاهرة وبلوغ نتائج أكثر دقة في نهاية البحث.
- **المنهج الأنثروبولوجي** : وهو الأسلوب الشامل لدراسة الانسان وما يحيطه وفهم معتقداته، كما ساعدني هذا المنهج في الولوج داخل مجتمع الدراسة وفهم وتفسير ظواهره الانسانية وجمع العديد من المعطيات الميدانية.

-عينة الدراسة: اخترت عينة عشوائية للمعالجين نظرا لحساسية الموضوع وخطورته، خاصة ما يتعلق ببعض الممارسات النسوية السرية منها، لأن البوح بها يفسد نية المريض في الشفاء، فلجأت لأشخاص لهم صلة القرابة بي، كما ركزت على كبار السن في القبيلة لأنهم أدرى بحيثيات الموضوع، كذلك على مشايخ القرية وعددهم 4، ومرابطين توصلت إلى شخصين والثالث رفض نهائيا تزويدي بعض المعلومات ولو شفهيا، كذلك أحفاد الأولياء الصالحين بتلك المنطقة ومن كان يشهد عليهم، وبلغ عددهم 5، كبار السن تتجاوز اعمارهم بين 60 سنة و90، كان من أكبرهم سنا جدتي التي تبلغ من العمر 110 سنوات والتي لحد اليوم تعالج نفسها بالمعتقدات الأرواحية الأمازيغية، كما أنها خبيرة في

الأعشاب الطبية والعلاج الروحاني، يزورها العديد لأجل اخذ بركتها والعلاج بخلطاتها وطريقتها المعتمدة.

أدوات الدراسة:

-**الملاحظة المباشرة :** رصدت فيها العملية العلاجية، تتبعتها من أولها لآخرها، وفي نفس الوقت سجلت الملاحظات والمادة العلمية في دفتر ضمانا لعدم النسيان وتفاديا لإحراج ومضايقة المبحوثين.

-**الملاحظة بالمشاركة :** قمت بالمشاركة الفعلية لبعض الطقوس، دون إثارة انتباه المبحوثين على رصدي لهم ومراقبتي لتحركاتهم، قصد ملاحظة سلوكياتهم وطرق عملهم وأساليبهم، ومعرفة خطاباتهم والرموز المستخدمة في العلاج.

-**المقابلة:** أجريت مقابلات مع مختصين في العلاج الروحاني من مشايخ القرية، لغرض الإلمام بجميع حيثيات الموضوع، وقع الاختيار على أساس الخبرة وكبر السن، ومنزلتهم المرموقة بين احضان تلك القرية وما جاورها من القرى، وكذلك المعالجين المرضى.

1. طرق ووسائل العلاج الروحاني :

عرف الشمال الإفريقي الطب منذ زمن موغل في القدم، تعود بداياته الاولى إلى العهود الإغريقية والرومانية، وكما هو معروف أن قرطاج كانت مركز العلوم الطبية، فقد عرفت تلك المجتمعات الطب البدائي الذي أطلق على علمائهم بفقهاء البدن والذي تشابكت فيه التقاليد والأعراف والثقافات الطبية الوافدة (محمود، 2017) ص11، يشتمل على أعشاب طبية لها رمزية روحانية، وهذا انعكاس لما اعتقده الأوائل، فذلك بقي راسخا في اذهانهم أين اتبعوه منهجا وسبيلا لعلاج الروح والجسد نوضحه في ما يلي :

أ. الاتصال المباشر بأرواح القوى الطبيعة :

سعى الانسان الأمازيغي في ايجاد طقوس وشعائر تعبدية نسكية تبعث في نفسه الراحة والاطمئنان والأمان، تؤمن له العيش بسلام في وسط محيط تحيطه الأخطار من كل الجوانب، فخلق لنفسه معتقدات وآمن بها، تصب كلها في عقائد دينية مبعثها الخوف من القوى الطبيعية، وكجميع الشعوب البدائية عبد قدس سكان منطقة القيقبة العديد من المقدسات الطبيعية والحيوانية فقد خافها وظن أن فيها أرواحا وعبد أيضا الإنسان والمخلوقات الأثيرية المعروفة بالجن ويجب إرضائها جميعا والتقرب

إليها بطقوس تعبدية مختلفة، لجلب سعادة الفرد وضمان سلامته وسلامة أهله ومحاصيله وقطعانه، لكن الأمر المحير في هذا هو أن رغم مر السنين واعتناق السكان للإسلام إلى أن هناك أمر واحد بقي على مر الأزمنة الغابرة وهو الزيارة الأسبوعية لبعض الأشجار المقدسة في هذه المنطقة حيث احتلت الأشجار والنباتات مكانة مقدسة لديهم فهي تخلصهم من الأذى والشرور، وتضمن لهم خصوبة محاصيلهم، وتدفع عنهم الوباء والبلاء وبعض من الأمراض التي تصادفهم، وظنوا بأن قوى خفية حلت بالأشجار والنباتات، وهي تعتبر ملجأ للآلهة والأرواح (Charles, 1954, p. 10) فهم مارسوا طقوس متعددة لها وتتمثل في عقد وربط قطع القماش على أغصان بعض الأشجار كـ" شجرة الزيتون المتواجدة بعين التين وشجرة القرنفل العجيبة المتواجدة بتيشريرث وشجرة الصنوبر البرية المتواجدة في أعالي قمة تيشريرث، وكذلك شجرة الرمان المتواجدة في نفس المنطقة" التزاما من الشخص بعبادتها (غانم، 2001، صفحة 46) آملين في طرد الأرواح الشريرة وتحقيق أمانيهم، كما حرموا إيذائها واقتلاعها وحرقها، ومن يفعل ذلك يتعرض لغضب وعقاب اللآلهة والأرواح الساكنة فيها وقد ثبت عن تقديس الأشجار عند الأمازيغ من " شجرة الزيتون، الكرمة، النخيل، السدرة، وغيرها من أشجار ونباتات أخرى، حيث ذكر تقديس وعبادة الأشجار من طرف عدة باحثين كـ: " ليون الإفريقي، كامبس، قزال، محمد الصغير غانم،...الخ" كما ذكر أيضا عبادة الأشجار في أنصاب (معبد الحفرة) البونِ، بمدينة (قسنطينة)، حيث نقشت فيها وصورت عليها شجرة النخيل وجريدها وسعفها والتي كانت رمزا للانتصار وقضاء الحاجات، وقد أدى الشعور بالحاجة إلى المادة التي تعطيها الشجرة إلى تقديسها وعبادتها، هو الحال كذلك عند سكان هذه المنطقة، حيث عبد وقدس شجرة الزيتون في الزمن الغابر، وهي متواجدة إلى يومنا هذا، ولازالت بعض آثار تقديسها مستمرة ولو بصفة قليلة من زيارات أسبوعية أي كل يوم جمعة يقوم السكان بزيارتها ويتقربون إليها بتقديم الطعام لها وذلك بنشره عليها، ويشعلون البخور عند جذوعها ويتمنون ما يريدون، فهم يظنون أن الجن الخير يسكنها وسيساعدهم في تحقيق مطالبهم، خاصة ما يتعلق بالصحة وطلب الشفاء للمرضى.

هذه الطقوس تمارس من طرف كبار القبائل والأعراش القاطنة في تلك المنطقة، لأجل استرضاء الأرواح التي تسكنها، أين خصصت أيام للزيارات، وتعددت الأسباب لكن أغلبها هي استدعاء الروح الطاهرة لأجل الاستجابة لطلبات الراحة الجسدية والنفسية والاستقرار، من بين هته الأيام :

- **يوم الأحد** : الذي خصص للتأمل والأمراض النفسية، ودفع الخوف والرهبانية، لأن منظرها يبعث في النفس عظمة الخالق، وسجودها للأرض يجعل العقل الإنساني ينسج القداسة لها، مع روايات الأوائل الذين تمكنوا من الولوج داخل بوابتها الغريبة، ونقلهم لصور العالم الذي يتواجد داخلها، وكل داخليها من الأولياء الصالحين، وخدام الجن الخيري، والأتقياء من الناس.
- **يوم الثلاثاء** : خصص لأصحاب الأمراض الباطنية الداخلية، فمن يقضي ليلة الثلاثاء ونهارها بجانب الشجرة سيشفى من ما يشتكي، لأن روح الشجرة ستدعي له وفي اعتقادهم ستحتضن جسمه لتطرح فيه البركة والشفاء.
- **يوم الخميس** : مخصص للعوانس أين يقمن بالزيارة الفردية أو الجماعية لشجرة الزيتون، في الوقت المحدد بين العصر والمغرب، لجلب الحظ لها والزوج وذلك شريطة أن تكون طاهرة، تضع في رقبتها حزام أخضر اللون او ما يعرف عند سكان المنطقة Timeḥremt tazizawt، حيث تربط وتعقد بسبع عقد، في كل دورة تعقد عقدة وتشعل شمعة حتى يكتمل العدد سبع مرات ثم تصلي ركعتين متجهة مدخل الشجرة (المدخل متجه للقبلة)، و بعد الصلاة تشعل البخور وتدعوا بالرجل الصالح وتعود للبيت لتعتكف مدة 7 أيام بين الصلاة والدعاء، فيرزقها الله برجل يوم الخميس المقبل بعد أداء هذه الطقوس، وقد صدقت هذه العملية لأغلب نساء هذه المنطقة، ففي هذه الآونة الأخيرة يتوافد العديد من الزوار إلى هذه الشجرة المباركة لزيارتها وممارسة بعض الطقوس وأخذ البركة منها.

والسر وراء التسبيع هو أن : " عالم الروح عبارة عن مجالات موجية يبلغ عددها 7، لكن في كل طبقة أو سماء هناك درجات مختلفة، ومتداخلة في بعضها تغلف الأرض، الكواكب، النجوم، المجرات، والكون كله، فكل سماء أو مجال موجي له درجته اهتزاز

معين، تعيش فيه مختلف المخلوقات من أرواح انسية وجان بمختلف أنواعه " (يحي الجمال، 2001، صفحة 35)، فالأخذ بهذا العدد هو زيادة الهالة الروحانية الإنسانية ليبلغ مبتغاه.

- **يوم الجمعة**: كذلك هو الحال للنساء العاقرات يزرن هته الشجرة للتبرك منها حيث تقام طقوس مشابهة للطقوس السالفة الذكر غير أن الحزام الأخضر يربط في بطن المرأة المتزوجة، وتطوف حول الشجرة سبع دورات مع الدعاء بكلمات غير مفهومة وكأنها تعاويذ، وتشعل الشمع والبخور ثم تقدم القربان، حيث يجب الذبح، شرط أن يكون حيوانا من جنس ذكر، والأغلب يكون ديك وإسالة الدم أمام أحد الأحجار المتقاربة مشكلة حفرة صغيرة تشبه المغارة متواجدة قرب تلك الشجرة، إسالة الدم أو زيت يدل على تزويد القوة للشيء المقدس (Charles, 1954, pp. 5-6) وبعد اسبوع كامل تعود المرأة إلى تلك الشجرة لتجد أمام المدخل سبعة أغصان أو ربما جذور شجرة الزيتون، لتصنع بها مشروبا لعلاج العقم، وتتصدق بشيء من القمح او ما يعرف عند أهل المنطقة بـTaryunt n yirden، وبقدرة الله تعالى ترزق المرأة بجنين بعد مرور أسبوع على ممارسة تلك الطقوس، و قد صدقت هذه الزيارة لـ3 نساء حظرت ولاحظت ممارستهن لهته الطقوس.
- **بعد صلاة كل عيد الفطر أو الأضحى**، يجتمع الناس وعلى رأسهم شيخ القبيلة وإمام، مصطحبين معهم البخور الذي يدل على الطهارة ونقاء القلوب، والشمع الذي يرمز للنور والحياة، وكذلك كمية من القرنفل وبعض الأعشاب البرية، يتلون عليها أدعية وكلمات تحي الروح الايجابية وذلك بعد التأمل الطويل الذي يستغرق وقتا، فيخاطب الشيخ أو المرأة الأكبر سنا منهم تلك الشجرة لإيقاظ روحها بقوله/ا : ايتها الروح الطاهرة لطالما باركتي لأجدادنا وأولادنا، استيقظي فنحن بأمس الحاجة اليك اليوم عيدنا ولا بركة لنا إلا بك "، والسر وراء الأكبر سنا، هو شهادته على فضل تلك الشجرة في الماضي، وكل سنة يقومون باحتفال لتزكية فرد من ذلك المجتمع، وترك وصية لروح الشجرة، وهي أن يلازم ذلك الانسان مكان الشجرة لمدة أربعين يوما، ويسقيها بالماء ويعتني بها، ولا يغادرها أبدا حتى تنقضي الفترة المحدودة، وتبقى روحه

متصلة بروح الشجرة بالمودة والحب، فلا دعاء إلا واستجابت له، فيقوم هذا الشخص يوم العيد بمنحها الأعشاب لتلقي عليهم الطاقة الشفائية، ويرفعون الأدعية تضرعا وبكاء، وتمنحهم الشجرة بعض من جذورها وأوراقها وثمارها ليستخدمونها في علاج العديد من الأمراض الجسدية، كما أنها تبعث في قلوبهم الراحة والطمأنينة، وتدعوا الله لهم بالخير والبركات.

ب. الاتصال بأرواح الأولياء الصالحين :

من الأسباب التي تدفع بالإنسان لزيارة الأولياء الصالحين، هي تلك الأسباب الصحية، والمتعلقة بالأمراض التي لا يستطيع الطب الحديث تشخيصها ومعالجتها، النفسية والروحانية، راحة البال، دفع الحسد والعين، الوقاية من السحر وهي **طقوس مباشرة** أي لا يوجد وسيط بين روح الضريح وروح الشخص المريض : وتشمل تلك الطقوس شرب مياه آبار الأولياء الصالحين، أو الاستحمام بها، أكل اوراق وثمار الأشجار المحاطة بالأضرحة، اخذ تربتهم كبركة.

طقوس غير مباشرة : التي تستدعي الوساطة مثل الطلبة، المشايخ، والمشعوذين، المرابطين، بقدرة الله وبركة الولي الصالح يشفى المريض، يقدم له خلطات بالأعشاب، طلاسم، التمائم، الأوفاق " tira" او الرقية Aɛezzem، هناك طقوس فردية مثل إشعال الشموع والتعطير بالبخور لطرد الأرواح الشريرة وجلب الأرواح الخيرية، لأن الضريح مكان طاهر ومقدس، طقوس أخرى جماعية مثل الرقصات والبكاء والنديب، وحلقات الذكر...الخ هذه الرقصات هدفها التوسل إلى القوى الخفية واسترضائها والتي اعتقد الإنسان أنها تتحكم في حياته (الناضوري، 1981، الصفحات 33-34).

اشعال الشمع بعدد أفراد العائلة، دلالة على تنوير الظلام وإبعاد التعقيد وطرد الشر من بيت العائلة وتجنب الأمور السيئة والتوقعات المضرة بالشخص، فالشموع ترمز للنور والبياض والخير، وكما انها تزيل الحزن على قلوب الناس وتجعل كل ايامهم فرح وسرور، فذلك النور ينعكس على ارواح ونفسيات الزائرين للأضرحة، يذهب عنهم الهم والغم ويجلب لهم الأمل والبركة.

البخور : يأخذون 7 أنوع : (الجاوي، مسك الحجر الأسود، عود المسك الأحمر، 7 أوراق السدر، القرنفل، العمبر، الفاسوخ) هذه التشكيلة ترمز للرائحة الطيبة المنبعثة من الفردوس الأعلى، تريح النفس والروح، وتفسخ كل الأعمال السحرية، تبعد عين الحسد، والتعطيل في الزواج، تفتح أبواب الرزق، حيث أن المريض يقوم بطقوس الدورات السبع حول الضريح حاملا التشكيلة العطرية، ودائما ما يقوم بوضع قماش ازرق اللون أو أخضر على منطقة المرض، تفاؤلا بالحياة الجديدة، والقماش اخضر اللون يرمز للسلام والحياة.

الصلاة والدعاء بالشفاء على قبر الولي، حلقات ذكر للتلاوات القرآنية من قبل جماعة مشايخ، وراء كل صلاة يوم جمعة، يجتمع المشايخ وحفظة كتاب الله لتكرار القرءان آخذين معهم بعض المرضى مكان ضريح الولي الصالح.

التكهن: استغلال ثقة الأشخاص بروح الولي من قبل مشعوذين، واستدعاء الجن السفلي والشياطين لأجل الأعمال السحرية، يساهمون في نشر الشر والمرض والهلاك والتفرقة بين اثنين، يستعملون الملح، عظام الحيوانات، الإبر، البخور، الشعر أجزاء الإنسان من اضافر ودمائه...الخ، كلها ترمز للظلام والشر، وهذا ظهر في الفترة الأخيرة حيث انتشرت مشعوذات ومشعوذين يتكهنون بمستقبل الزائرين مقابل مبالغ مالية، عن طريق أوراق الحظ والأحجار الكريمة، خط الرمل وكلها افعال شيطانية.

زيارات الأيام المباركة يوم الاثنين والخميس، لأخذ البركة والدعاء بالشفاء للمرضى، غالبا ما تكون جماعية منظمة، خاصة اذا اصيب شخص ما بمس من الجن السفلي، يقوم شيخ الزاوية التابعة للضريح بالرقية أو ما يعرف التعزيمة وهي تختلف بعض الشيء عن الرقية، يستدعي ذلك الطالب الأرواح الخيرية والجن وروح الولي الصالح الذي له القدرة في التحكم بالجن السفلي، وسط جو مليء برائحة البخور والشمع والأقمشة البيضاء والخضراء، ووسط أدعية الزوار وتضرعاتهم، يكون استدعاء هته الأرواح عن طريق الدف (البندير) ومزامير القصبة التقليدية وكذلك صوت المهراس النحاسي، ويقوم الطالب باستدراج الضحية عبر أكلات غريبة مثل البيض، تراب الضريح، وإذا استصعب الأمر وجب تقديم القربان وإسالة الدم، لتقوية روح الولي الصالح وإعانة الطالب في القضاء على الأرواح الشريرة، ويكون القربان المقدم

معز، ويشرب المريض من القطرات الاولى من الدماء للسيطرة على الجن السفلي وإعجازه بإطعامه من خيرات وقربان الولي، تدريجيا حتى أن يتم القبض عليه، بكلمات تتخللها سور وآيات قرآ نية وبعض التعاويذ من المعتقدات الشعبية المتوارثة، وتبقى تلك الروح الشريرة حبيسة عند الطالب، في حين يتعافى ذلك المريض، لكن يبقى خاضعا لمجموعة من التعاليم والشروط لا بد من التقيد بها، كإبقاء الحرز يرافقه طيلة حياته، واذا تخلى عنه يعود له الجن السفلي.

2. تفسيرات وتوضيحات :

-كل الأفعال والسلوكيات العلاجية الروحانية، إيماءات تترجم ما يشعر به الإنسان المؤمن لمعتقدات الأوائل، والطقوس الممارسة اليوم ما هي إلا احياء وإعادة خلق الإيمان بشكل دوري، فهي ناتج لمعتقد ما يخدم الانسان ويغير من حالته النفسية والذهنية والجسدية، كما انه يجدد حماس الأفراد ويمنحهم الاحساس بوحدة ايمانهم ومعتقدهم .

-نستنتج من خلال ما سبق أن سبب بقاء هذه الزيارات هو التبرك وقضاء حاجيات الإنسان من متطلبات الحياة، وهذا يعود لمعتقدات وأفكار الأسلاف وكذالك نتيجة خوف الإنسان من المخلوقات الأثيرية، وتفادي الغضب عليهم، فيلجئون إلى ممارسة هته الطقوس من جهة، ودافعهم الروحي العلاجي من جهة أخرى، فشفائهم للوهلة الأولى يولد إيمانا بالاستجابة والنفع، ويدفعهم إلى استمرار ومواصلة الطقوس في حال عودة المرض وتقديم النصائح للغير بإتباع هذا الأسلوب العلاجي، حتى لو كان الشعب متحضرا مسلما إلا أنه لا زالت الزيارات مستمرة بسبب التخوف من مظاهر الطبيعة كون ما يفكرون في تصوراتهم انها مساكن للأرواح ولتفادي شرهم عليهم بتقديم القرابين والتقرب إليها وزيارتها يوميا حتى لا يشعروا بالخوف والعذاب من طرف الأرواح التي تقنط هته الأشجار والأماكن المقدسة.

-من الأكيد والثابت أن للأمازيغ معتقداتهم العلاجية الروحانية الخاصة بهم مثل الشعوب البدائية، فقد كانت طقوسهم اليومية تعبر عن تفكيرهم الأسطوري الذي ارتبط بالطبيعة ارتباطا وثيقا، يقوم على الإحيائية والأنسنة والتجسيد بمعنى أن الإنسان الأمازيغي أسطوري منذ تواجده على الأرض، وذلك باهتمامهم الكبير بالطقوس

والقرابين وفي هذا الصدد، يحصر دوتي المقدسة بقوله ": ففي الحين الذي تتغير فيه المعتقدات، يظل الطقس باقياً كتلك المحارات المستحثة للرخويات المنقرضة التي تساعدنا على تحديد العصور الجيولوجية إن بقاء الطقس وثباته هو علة البقاء والرواسب التي نصادفها في كل مكان" (إدموند، 2008، صفحة 415).

-ويعني هذا أن الإنسان الأمازيغي كان إنسانا طقسيا يستمد كل حاجياته من الطبيعة، وأطلق معتقدا أن لكل شيء روح فأصبح يمارس شعائره الدينية الأسطورية عبر فعل الطقس والسحر والقربان، والإيمان بالجن والقوى الخارقة، وعبادة الحيوانات وقوى الطبيعة المختلفة كباقي الشعوب البدائية الأخرى.

خـاتمة :

يعتبر العلاج الروحي من المعتقدات الشعبية ومن التراث الثقافي للشعوب، وهو ليس سبيلا للسحر وعصيان الخالق، بغض النظر لقداسته واتصاله بالله وبالتأمل لما خلقه، فهو يمزج بين المعتقدات الثقافية الفكرية والقرآن الكريم، وبين الحكمة والثقة في الباريء، وبين خبر الكبار تجاربهم الصادقة، فهو ذو مكانة بالغة الأهمية بين أوساط الشعب الامازيغي، كونه الطب المتأصل الجامع لكل السمات والخصائص التي تميزه عن الطب الحديث، إذ يرتبط بقوة الارادة والهمة والصدق في شفاء الروح البشرية، وعلاج مختلف الأمراض التي لم يتمكن الطب المتطور من تشخيصه وكشفه وتقديم الحلول لها، فلجأ الإنسان الحالي إلى قيم اجداده وتقاليدهم ومعتقداتهم الغيبية المرتبطة بالقداسة، والتي لها القدرة على التكرر من خلال التنشئة الاجتماعية التي تحافظ على استمرار الطقوس العلاجية وبقائه.

الملاحق :

صور توضيحية لبعض الممارسات الطقوسية المقدسة لطلب الشفاء من أرواح الشجرة المباركة،
تصوير الباحثة، يوم 5 جويلية
2021

الصورة رقم 01 : شجرة الزيتون المباركة بمنطقة
القيقبة من تصوير الباحثة، يوم 5جويلية 2021

قـائمة المصادروالمراجع :

1. خالد حسين محمود. (2017). الطب بإفريقيا خلال العصر الأغلبي. مجلة قضايا تاريخية(7)، 32-10.

2. دوتي إدموند. (2008). السحر والدين في افريقيا الشمالية. (فريد الزاهي، المترجمون) الرباط: منشورات مرسم، مطبعة بورقراق .

3. رشيد الناضوري. (1981). المغرب الكبير (العصور القديمة أسسها التاريخية، الحضارية والسياسية). بيروت: دار النهضة.

4. رقية ملاح. (2013). العلاج الروحاني بكتابة الأوفاق دراسة سوسيوأنثروبولوجية - منطقة وادي جمعة أنموذجا-. مذكرة ماجستير. كلية العلوم الإجتماعية، الجزائر: جامعة وهران.

5. سمير يحي الجمال. (2001). أسرار العلاج الروحاني محاورات واستفسارات. القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع.

6. علي احمد عبد العال الطهطاوي. (2005). الفيض الرحماني في شرح كتاب الطب الروحاني لإبن الجوزي (الإصدار ط1). لبنان: دار الكتب العلمية.

7. فراس السواح. (2002). دين الانسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني (الإصدار الطبعة 4). دمشق: منشورات دار علاء.

8. محمد الصغير غانم. (2001). بعض من ملامح الفكر الديني الوثني في بلاد المغرب. مجلة الحوار الفكري(2)، الصفحات 68-59.

9. Charles, P. G. (1954). les religions de l'Afrique Anthique. Paris: Librairie Plon.